

الاجوراب

على

الفقيه يوسف بن عبد الله الشافعي

للفقيه العلامة

عبد الله بن زيد بن أحمد الحنسي

المتوفى سنة ٦٦٧ هـ

جمال الشامي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد:

فهذه أجوبة مسائل - قدمها الفقيه عبدالله بن يوسف الشافعي - للفقيه العلامة عبدالله بن زيد العنسي، وقد حوت الكثير من الفوائد من النصح الصادق، والحث على العلم وفضله، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الزيدية، وذكر أهمية العقل ووجوب النظر، وبيان موافقة الفقهاء - الشافعي وأبي حنيفة ومالك - لأهل البيت في أصول الدين والمولاة لهم وبطلان العقائد المنسوبة إليهم في الجبر والقدر والتشبيه ودور السلطات الأموية والعباسية في فرض اجتهاداتهم الفقهية وجعلها مذاهب متبعة دون غيرها لغرض إبعاد الناس عن أهل البيت، وذكر رحلة المؤلف العلمية إلى مكة المكرمة وتعرفه على مذاهب الآخرين عن كتب والأخذ عنهم وتعريفهم بمذهبه، ويظهر من هذه المسائل وجوبها ثلاث حقائق جلية هي:

الأولى: وجود التعايش السلمي بين المذهبين الزيدي والشافعي في اليمن، وفيه رد على الأصوات المعادية المنتشرة هذه الأيام والتي تدعي عدم وجود التعايش في اليمن وتحرض على ذلك، وهذا إنما هو أثر للحكمة اليمانية.

الثانية: الاحترام المتبادل بين أعلام المذاهب الزيدية والشافعية وفي السؤال والجواب ما يدل على ذلك وزيادة.

الثالثة: عدم الاعتبار المذهبي لتولي الوظائف العليا في الدولة الزيدية وهذا معلوم منذ تأسيس الإمام الهادي للدولة سنة ٢٨٤هـ وتعيينه لموظفين من مذاهب أخرى كالحنفية،

وتعيين الفقيه الشافعي صاحب الأسئلة لمنصب رفيع في دولة الإمام المهدي أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٥٦هـ لدليل آخر واستمر ذلك إلى ما بعد إلى سنة ١٣٨٢هـ. يتواجد هذا الكتاب في ضمن مجموع مخطوط أغلبه للفقيه عبدالله بن زيد العنسي ويأتي هذا الكتاب بعد رسالته المسماة (منهاج البيان لرجال سنحان) وقبله كتابه (ماء اليقين في معرفة رب العالمين) ويتواجد هذا المخطوط في مكتبة برلين الألمانية ويعود تأريخ نسخه إلى بداية القرن التاسع لعله سنة ٨١٣هـ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

١٤ جمادى الأولى سنة ١٤٣٨هـ.

١١ / ٢ / ٢٠١٧م.

التعريف بالمؤلف (١)

نسبه ومولده:

هو عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي المذحجي، القاضي العلامة. ولد سنة ٥٩٣هـ، ونشأ في بيئة علمية وأخذ عن أعلام عصره كشيخ آل الرسول بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى، وأخذ عنه أعلام كثر، وعاصر الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين عليه السلام وله في نصرته اليد الطولى، والسهم المعلى، حتى إنه - عليه السلام - كان لا يعدل به أحداً، ويسميه داعي أمير المؤمنين، ويصفه بالدين الرصين، والورع المتين.

مكانته العلمية:

للعالم العنسي مكانة رفيعة في الفكر الإسلامي عموماً وعند الزيدية خصوصاً وقد جاء التعبير عن مكانته على لسان غير واحد من الأعلام من ذلك ما يلي:

السيد العلامة يحيى بن القاسم الحمزي - المتوفى سنة ٦٧٧هـ - : «الفقيه الإمام العالم المجتهد حسام الدين عبدالله بن زيد بن أحمد العنسي».

الفقيه العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين المسوري - المتوفى سنة ١٠٧٩هـ : «كان القاضي عبد الله بن زيد العنسي .. من أوعية العلم، وأجل علماء الزيدية - كثرهم الله - والرجل حافل الرواية، متين الدراية، رائق المباحث، دقيق النظر، أحد الزهاد المشهورين بالورع».

(١) مطلع البدور ومجمع البحور ج٣ ص٨٢، طبقات الزيدية الكبرى ق٣ ص٦١١.

القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال - المتوفى سنة - : «القاضي العلامة، إمام الزهاد، ورئيس العبّاد، ولسان المتكلمين، وشحاك الملحدّين .. هو مفخر الزيدية، بل مفخر الإسلام، جمع ما لم يجمعه غيره من العلوم النافعة الواسعة، والأعمال الصالحة، وصنف في الإسلام كتباً عظيمة النفع».

آثاره الفكرية:

خلف تراثاً جليلاً قيل أنه كتب «مائة كتاب، وخمسة كتب، ما بين صغير وكبير، وفيها من النفع العظيم، وكان جيد العبارة، حسن السبّك، كلامه كأنما ينحط عن صلب»، من ذلك: المحجة البيضاء في أصول الدين، والإرشاد إلى نجات العباد، والسراج الوهاج المميز بين الاستقامة والاعوجاج، وماء اليقين في معرفة رب العالمين، والتميز بين الإسلام والمطرية الطغام، والفتاوى النبوية المفصحة عن أحكام المطرية، والرسالة المنقذة من العطب السالكة بالنصيحة إلى أهل شطب، ومنهاج البيان لرجال سنحان، وعقائد أهل البيت، والتحرير في أصول الفقه، والدرة المنظومة في أصول الفقه، والشهاب الثاقب على مذهب العترة الأطايب، والاستبصار في الفقه، وشرح الاستبصار، واللائق بالأفهام في معرفة حدود الكلام.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والمعرفي توفي رحمه الله تعالى سنة ٦٦٧ هـ بكحلان تاج الدين، وقبره قبلي البركة التي تسمى الرحبة.

نموذج من المخطوط

248

فهو وصيكم فلا تدبها والامانة التي جعلها قد اهورها
وومنها فان يطعوا الله تعالى يسدوا وتكونوا من اهل الصلاح
والسداد فان ابوا سدك وروما قولكم واقوصوا منكم الى
الله ان الله بصير العباد والسلام على من اسبح الهدى ونجى
من الكفر والردا و صلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين
وطهين اجمعين ثم عبد الله معلومته وله الحمد كثيرا و صلوات الله

كتاب خواتم العقبه يوسف

بسم الله الشافعي الشاكر لله ان كان المحسنه العقبه
رحمه ربه الهادي لله من ربه عبد الله بن زيد بن ابي عمير
الله له ولو الله و صلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين
العقبه الشافعي محمد بن زيد بن فاها ربه له
بسم الله الرحمن الرحيم
كتاب ساهل الى العقبه لاجل يوسف بن عبد الله

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابنا إلى الفقيه الأجل يوسف بن عبدالله بَدْهَبَانَ (١)، سلامٌ عليك.

أما بعد:

يا يوسف بن عبدالله، فقد بلغني كتابك وتحققت مضمونه وعرفت أبقاره وعيونه، وأنا إن شاء الله تعالى موضح لما طلبت ومجيب عما عنه سألت.

أما ما ذكرت - أيدك الله - من السلام: فعليك أسنى التحية والسلام والرحمة من المهيمن السلام، والبركات الزاكية العظام، فقد قال ذو الجلال والإكرام: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليكم. فقال عليه السلام: حسنة. ثم أتاه آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال: حسنتان (٢).

فقال: عمر بن الخطاب: والله إني لأخرج من بيتي من غير حاجة إلا لأسلم على الناس لفضيلة السلام (٣).

(١) قرية في مديرية بني الحارث شمال مدينة صنعاء.

(٢) عن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال: السلام عليكم، كتب له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة)) المعجم الكبير للطبراني ج ٦ ص ٧٥.

(٣) عن ابن عمر في تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣١ ص ١٥٨، فتح الباري ج ١١ ص ١٩، تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ٤٦٢.

وأما ما ذكرته - أيدك الله - إلى عندي والاطلاع على أمري: فالقلوب شواهد والله تعالى على ما [أقول] أعظم شاهد، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ((من زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس محتسباً))^(١).

فأسر يا أبا الحجاج بما كتب الله لك من الثواب على زيارتك بالمكاتب، واقصد إلى الزيارة بالمشافهة فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله [و]سلم قال: ((النظر في وجه العالم عبادة))^(٢)، وأخلص النية لله في حضور مجالس العلم والأخذ عن أولي الفضل والحلم والصحة للأخيار والمخالطة للعلماء الأبرار، فقد قال النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله الأطهار: ((صحبة العلماء زين ومجالسهم كرم والنظر إليهم عبادة والمشى معهم فخر ومخالطتهم كرم والأكل معهم شفاء، ينزل الله عليهم ثلاثون رحمة وعلى غيرهم رحمة واحدة، هم أولياء الله، طوبى لمن خالطهم، خلقهم الله شفاء للناس، فمن حفظهم لم يندم ومن خذلهم ندم))^(٣).

وأما ما ذكرت - أيدك الله - من وصول كتاب الإمام عليه السلام^(٤) إليك وأمره لك بالأمر بالمعروف الأكبر والنهي عن الفحشاء والمنكر: فيهنك يا أبا الحجاج ما

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٣٣٠.

(٢) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٢١٢.

(٣) لسان الميزان ج ٣ ص ٢٤٦.

(٤) أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم العلوي، المهدي لدين الله، إمام الزيدية واليمن، بويع له بالإمامة سنة ٦٤٦هـ، وتوفي شهيداً سنة ٦٥٦هـ، له مؤلفات منها: حليفة القرآن في نكت من أحكام أهل الزمان، الرسالة الزاجرة لصالحى الأمة عن إساءة الظن بالأئمة. التحف شرح الزلف ص ٢٥١.

أعطيت وبورك لك فيما أوتيت فقد قسم الله لك بمكاتبة الرفعة والسناء وحظيت بأحسن الحسنى، حيث كتب إليك أمير المؤمنين ووصاك بما وصى به أوليائه المهتدين.

[فضل الشيعة وبراءة الزيدية مما ينسب إليه]:

فأبشر ثم أبشر أنك كلما خالطتنا وكثرت صحبتك معنا فإن الإمام عليه السلام يكون بك أوثق وتكون مودته عليك بك أعتق وخلته لك أليق؛ إذ نحن نصحاؤه وأهل محبته والمخلوقون بحكم الله تعالى من طينته وقد قال تعالى لنبىه صلى الله عليه وآله في الحديث الطويل: ((أنت شجرة، وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتها من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حياءً))^(١)، فانظر إلى هذا الفضل العظيم والشرف العميم لشيعة محمد صلى الله عليه وآله كيف صاروا من بين العالمين منهم والمخلوقين من طينتهم فمن هاهنا أن محبتنا محبتهم ومحبتهم محبتنا ونحن منهم وهم منا وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم في قصة إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ونحن المتبعون لهم والمقتفون لآثارهم والباذلون أنفسنا دون أنفسهم وقال النبي صلى الله عليه وآله: ((يا علي نحن شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها وأنت لقاحها والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها، لو أن رجلاً صام حتى يكون كالوتر وصلّى حتى يكون كالحنى وكان في قلبه مثقال ذرة من بغضك أكبه الله على وجهه في النار، يا علي لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا منافق شقي))^(٢)، فبين أن شيعتهم منهم ورق شجرتهم وبهجة روضتهم.

(١) مسند الإمام زيد بن علي ص ٣٦٢.

(٢) مناقب علي لابن المغازلي ص ٣٦٠.

[الرافضة وعلاماتهم]:

وقال عليه السلام: ((ابشر يا علي أنت وشيعتك في الجنة، وممن يزعم أنه يحبك أقوام يظهرون الإسلام، ثم يلفظونه ثلاث مرات، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، لهم نيز يقال لهم الرافضة إن أنت أدركتهم فجاهدهم؛ فإنهم شيعة الدجال)) فقال: يا رسول الله: وما العلامة فيهم؟ قال: ((لا يحضرون جمعة ولا جماعة ويطعنون [علي] (١) السلف)) (٢).

فبين عليه السلام أن شيعتهم في الجنة، وعرفنا أن الرافضة هم: الإمامية، والإسماعيلية من الباطنية، يزعمون أنهم يحبونه وليسوا من شيعته؛ لأنهم يطعنون على السلف الصالح من الصحابة الطاهرين رضي الله عنهم أجمعين، ويكفروهم، ويسبونهم بخلاف الزيدية رضي الله عنهم، فإنهم يحبون أهل البيت عليهم السلام ويعظمونهم، ويجبون الصحابة رضي الله عنهم ويؤثرونهم.

وحدث جهال من هذه الأمة لا يفرقون بين الزيدية والإمامية والإسماعيلية ويطنون أن كلهم رافضة، والنبي عليه السلام بين أن علامة الرافضة أنهم لا يحضرون جمعة، ولا جماعة، وأنهم يطعنون في السلف الصالح، وهذا ليس من سيما الزيدية فإنهم يدينون بالجماعة في الليالي والأيام، ويقىمون الجمعة في زمان الإمام، ولا يطعنون على الصحابة البررة الكرام، ولا يذمون أحد من أهل الإسلام، ويرون البراءة من الكفرة الطغام والفسقة اللثام.

(١) مكتوب: عن.

(٢) مسائل حرب الكرمان ج ٣ ص ١١٧٤.

[عن تكليف الفقيه بالاحتساب]:

وأما ما ذكرته - أيديك الله - يا أبا الحجاج وجنبتك المغاوي والاعوجاج من أنك إنما يقبل قولك في المواضع الذي أنت فيه دون غيرها.

فاعلم: أن الله ما كلف نفساً إلا وسعها، وما أمرها إلا بدون طاقتها كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، فعليك هداك الله بالدخول تحت طاعة إمامك والاعتنام لبقية أيامك، قال بعض الحكماء: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة»، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، فبين أنها شيء يسير وأمر حقير وأعظم غرور فيها طلب الغناء فيها ولن [تنال] (١) الغنى فيها إلا بالقناعة بما قضى فيها، قال بعض الحكماء: «إن طلبت من الدنيا ما يكفيك فأقل الأشياء فيها يكفيك، وإن طلبت منها فوق ما يكفيك فكل ما فيها لا يكفيك»، وإنما كانت كذلك فإنها بمنزلة الماء المالح الذي لا تشرب منه إلا ازددت عطشاً كذلك الدنيا لا تأخذ منها شيئاً إلا ازددت نهما.

وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله: ((منهومان لا يشبعان ولا يزدادان إلا نهماً طالب علم وطالب دنيا)) (٢)، فتره نفسك - هداك الله - عن مواقف النهمة وأرض بما أوتيته من القسمة وأن الرزق قضاء محتوم وقدر معلوم لن يعدوا من ما قدر له كما بينه المصطفى وذكره.

ثم أمر بالمعروف الأكبر وأنه عن الفحشاء والمنكر ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ دَلِيلَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وعليك بالمذهب الرشيد، والقول السديد؛ فإنه قطب كل حميد.

(١) مكتوب: تنابا.

(٢) جامع معمر بن راشد ج ١١ ص ٢٥٦.

[قيمة العقل]:

وحكم (١) العقل في كل ما تسمع تكن بذلك [الفتن] (٢) الورع. واعلم أن العقل حجة الله عليك ووديعته لديك واجعله عمادك وصحح به اعتقادك وتأمل قول الله تعالى في آيات كثيرة لعلهم يعقلون وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]، فإنه يعني لمن كان له عقل يستعمله ولم يشهد له، وقال النبي صلى الله عليه وآله: ((استرشدوا العقل ترشدوا ولا [٣] [تعصوه تندموا]) (٤)، وقال عليه السلام: ((قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له)) (٥)، وقال عليه السلام: ((إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له)) (٦).

فعليك يا أبا الحجاج في دينك كله باستعمال العقل، وتجنب الجهل والحذر كل الحذر من اتباع التقليد، والأخذ بقول الجاهل العنيد؛ فتلك طريق الجاهلين وتعللات الكافرين بما حكاه رب العالمين في قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم

(١) قال أبي العلاء المعري:

فشاور العقل واترك غيره هدرًا فشاور العقل واترك غيره هدرًا

(٢) مكتوب: النقط.

(٣) مكتوب: به.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٠١ بلفظ ((العاقل)).

(٥) مسند الحارث ج ٢ ص ٨٠٣.

(٦) حقائق المعرفة ص ٦٧.

مُهْتَدُونَ ﴿الزخرف: ٢٢﴾، وقال النبي صلى الله عليه وآله: ((من أخذ دينه [عن] (١) التفكير في آلاء الله تعالى، و[(٢) عن التدبر لكتابه، وعن التفهم لسنتي زالت الرواسي ولم يزل، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال وقلدهم فيه ذهب به الرجال عن يمين إلى شمال، وكان من دين الله تعالى على أعظم زوال)) (٣).

[خطر البدع وحقيقتها]:

ثم تجنب - أيدك الله - البدعة وحصن عملك عن الرياء والسمعة؛ فإن البدعة ضلال عن الدين، والرياء والسمعة شرك برب العالمين، قال النبي صلى الله عليه وآله: ((من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)) (٤)، وقال عليه السلام: ((الرياء هو الشرك الخفي)) (٥).

واعلم أن البدعة ما خالف السنة وتحيون (٦) البدعة، فكلما حدث بعد النبي صلى الله عليه وآله [مخالفاً] لما كان عليه أو لما هدى الله إليه في الاعتقاد والأقوال والأفعال (٧) والتروك فهو بدعة وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله: ((إياكم ومحدثات

(١) مكتوب: في.

(٢) مكتوب: تبارك.

(٣) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٢١٦.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ج ٧ ص ٣٥.

(٥) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي، فيزين

صلاته، لما يرى من نظر رجل)) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٠٦.

(٦) كذا.

(٧) مكتوب: فهو.

الأموار، فإن كل بدعة ضلالة))^(١)، فبين أن المحدثات بعده عليه السلام وهي المخالفات عليه بدعة وأن كل بدعة ضلالة، فعلى العاقل أن يطلب المذهب الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله ثم يعتمده ويمكنه أن يعرف ذلك بأن عليه السلام لا يخالف العقل ولا محكم الكتاب فيتهدي بهداها ويقتدي بسورتها.

[وجوب النظر]:

فعليك - أيدك الله تعالى وهداك - بالنظر في الحث على النظر ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] الآية، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حِجَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، الآية، وقال النبي عليه السلام العلماء في الحديث الطويل ((ولمذاكرة العلماء ساعة أحب إلى الله تعالى من عبادة عشرين ألف سنة))، ومن أين تحسب - أيدك الله تعالى - أنه حصل لهم هذا الفضل العظيم والثواب الكريم فما هذا إلا لفضيلة العلم، فعليك بالعلم والمذاكرة لأهله والتوقير لحامله قال النبي صلى الله عليه وآله: ((الكلمة الواحدة يتعلمها المسلم من أخيه المسلم أو يعلمها إياه أفضل عند الله من قيام ألف ليلة، وصيام ألف يوم، وصدقة ألف دينار، وصدقة ألف درهم، وحجة مبرورة وهدى لا يموت))^(٢).

فانظر إلى هذا الأجر الكبير على أهل العمل اليسير وانحض إلى مجالس العلم فإنها محاسن أهل الفضل والحلم قال النبي صلى الله عليه وآله: ((من جاءه أجله وهو يطلب العلم [اليقيني] لم يكن بينه وبين النبیین إلا درجة النبوة))^(٣).

(١) السنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٠٨.

(٢) قال المؤلف: «وهذا إنما يراد به العلم النافع وهو ما عرفتك دون ما أكب عليه الناس

وسموه علماً» الإرشاد إلى نجات العباد ص ٣٦٥.

(٣) الأمالي الخميسية ج ١ ص ٧٥.

[جواب المسائل]:

وأما ما سألت عنه - أيدك الله - من المسائل وطلبت وتحريت البحث [عن] ذلك فقد أصبت قال النبي صلى الله عليه: ((العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فأسلوا يرحمكم الله [فإنه] يؤجر عليه أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمجيب))^(١)، وقد قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فأما الجواب عما سألته فنحن نذكر الجواب عنه على الترتيب الذي ذكرته.

أما المسألة الأولى: وهو قولك اعلمي بمسألة قضاء الله تعالى وقدره أهو ماضٍ قضاؤه وقدره في كل شيء من الأشياء إلا الفواحش؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء؟

فالجواب وبالله التوفيق: أن نقول: ذهب القدرية من هذه الأمة: أن كل شيء حادث سواء كان جسماً أو عرضاً، وسواء كان كفوفاً أو إيماناً فإنه بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيتته، [و] قالوا: والله تعالى يضل ويهدي ويوفق ويغوي.

وذهب العدالة من هذه الأمة - أهل البيت عليهم السلام واتباعهم من شيعتهم الأخيار ومن تقدمهم من الصحابة الأطهار -: أن الله تعالى ما قضى المعاصي ولا أمر بها ولا أراد حدوثها ولا رضىها ولا أحبها ولا شاءها، ولا أضل عباده [عن]^(٢) الدين ولا أغواهم إلا إبليس اللعين.

(١) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٢١٧.

(٢) مكتوب: من.

وقالوا: ولكنه عز وجل هدى إلى الإيمان، ودعا إلى البر والإحسان، ونهى عن الكفر والعصيان، وأراد من عباده كلهم الطاعات، وكره منهم السيئات، وأنه تعالى لو شاء أن يمنعهم عن مخالفته يمنع بالقهر والاقْتدار ولكنه أراد أن يكون ذلك منهم بالحبّة والاختيار.

والحجة على ذلك: أن العقلاء يطلبون الفعل من الإنسان طلب متحقق أنه يحصل باختياره، ويذمونه على بعض فعله، ويمدحونه على بعض، ويلزمونه أروش الجنائيات وأحكام العقود والتباعات، فلو لا أن العقل يحكم أنه إنما حدث من الإنسان ما يثبت فيه هذه القضية كما لا يثبت في خلقه نفسه وصورته ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، وقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فأضاف الأفعال في الطاعة والمعصية إليهم، وقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فأضاف أفعالهم إليهم، وقال: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، فأضاف أفعالهم إليهم لا إليه تعالى وآيات القرآن مشحونة بتكذيب من أضاف أفعال العباد إلى الله عز وجل.

وحجة أخرى: وهي أنه تعالى كيف يعقل أنه يخلق الكفر والإلحاد وسب نفسه وسب رسله وينهاهم عن ذلك ويعاقبهم عليه!.

وأيضاً: بأي فعله وخلقه يوحد بالتوحيد الذي خلقه في قلب المؤمن عند القدرة هذا هو الضلال البعيد.

وأيضاً: كيف يأمر بتعظيم الأنبياء وطاعتهم، ثم يخلق في قلوب الكفار الاستخفاف بهم وفي ألسنتهم السب لهم وفي جوارحهم المخالفة عليهم وقتلهم، تعالى الله عن قول

القائلين بذلك علواً كبيراً، أم كيف يصح ما تقوله القدرية من هذه الأمة في إضافة أفعال العباد إلى الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله يقول: ((لا تحملوا على الله ذنوبكم))^(١)، وقال عليه السلام في آخر الحديث الطويل يقول الله عز وجل: ((بمشيئتي كنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وإرادتي كنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبنعمتي قويت على طاعتي))^(٢)، وهذا الذي رواه النبي عليه وآله السلام عن ربه عز وجل وهو مذهبنا، وجاء رجل من خثعم فقال: يا رسول الله متى يرحم الله عباده؟ قال: ((ما لم يعملوا بالمعاصي ثم يزعمون أنها من الله فعلاً فإذا فعلوا ذلك انتزعت منهم الرحمة انتزاعاً))^(٣)، ومذهبنا هذا الذي ذهبنا إليه وهو مذهب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

وسئل أبو بكر - وهو أحد كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين - عن الكلالة؟ فقال قوله فيه من: إني «فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك»^(٤).

ويروى: أن كاتباً كتب لعمر: هذا ما أرى الله عمر. فقال عمر: أمحه، وقال أكتب: «هذا ما رأى عمر فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن عمر»^(٥).

(١) يُنسب إلى أبي أمامة الباهلي جزء بانتخاب أبي طاهر السلفي خ، جامع الأحاديث

للسيوطي ج ٢١ ص ٣٣، وإلى الحسن البصري ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى خ، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٩١.

(٣) حقائق المعرفة ص ٢١٢.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٦٦، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال في قضاء

له: «فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني، ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان»

موطأ مالك برواية الشيباني ص ١٨٢.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٩٧.

ولما حُصر عثمان في الدار جعلوا يرمونه ويقول بعضهم: يرميك الله. قال: «كذبتُم لو رماني ما أخطأني» (١).

وقال ابن عباس: «قاتل الله قوماً يعملون بالمعاصي ثم يقولون إنها من الله»، ومر سارق على بن عباس قال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قدر الله. قال ابن عباس: «شر كلمته أعظم من سرقة يحمل ذنبه على الله».

ولو ذكرنا ما قاله أعيان الصحابة رضي الله عنهم لطال الكلام وغرضنا التخفيف في الجواب، وكما أن مذهبنا مذهب الصحابة ومذهب التابعين: قال الحسن البصري رضي الله عنه: «اللهم ألعن أنت وملائكتك الذي الذين [يعملون] بالمعاصي ثم يزعمون أنها من الله».

وكان عمرو بن عبيد ينكر على من يضيف معصيته إلى الله تعالى، وكذلك زين العابدين علي بن الحسين عليهم السلام، والشافعي رضي الله عنه كان ينكر قول هؤلاء القدرية الذين يضيفون طاعة العبد ومعصيته إلى الله ويقولون هي بقضاء الله وكلامه في الفقه دليل على ذلك.

وأيضاً: كيف يكره الله الكفار ما أمر به من الإيمان ويجب منهم ما نهاهم عنه من الكفر والطغيان أم كيف يريد ما أراده الشيطان من عمل الكفرة الطغام ويكره ما أراده الأنبياء عليهم السلام من الإسلام أم كيف يعقل أنه تبارك وتعالى قد أراد كل ما حدث في الدنيا من الزنا والربا وشرب الخمر واللواط وهدم الكعبة وتحريق المصاحف وسب الأنبياء وقتل يحيى وزكريا وكسر رباية النبي المصطفى فهذا لا يذهب إليه إلا الكفار ولا يدين به إلا الأشرار، فقد حكى الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، مثل ما قالته الجبرية القدرية،

(١) التاريخ الأوسط للبخاري ص ٦٩.

ولما سئل بن سيرين - وهو من كبار التابعين - عن جار له يهودي فقال رجل: هو كما شاء الله. قال بن سيرين: «إن الله لا يشاء اليهودية».

وقد أنكرت الصحابة والتابعون على أهل هذه المقالة من القدرية إنكاراً عظيماً لو اشتغلنا بذكر أقوالهم لطال الشرح وقد بين النبي صلى الله عليه وآله أنه لا يقول بهذه المقالة إلا القدرية فقال عليه السلام: ((صنفان من أمتي لا أنالهما الله شفاعتي لعنهما الله على لسان سبعين نبياً: القدرية والمرجئة^(١)، قيل: يا رسول الله من القدرية؟ قال: الذين يعملون بالمعاصي ويقولون هي من قبل الله. قيل: فمن المرجئة؟ قال: الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل))^(٢)، وقال عليه السلام: ((لا تقوم الساعة حتى يحمل على الله كل ذنب عُصي به))، وقال صلى الله عليه وآله: ((ما هلكت أمة قط حتى يكون الجبر قولهم))^(٣)، وقال عليه السلام: ((سيأتي أقوام يعملون بالمعاصي ويقولون هي من الله فإذا رأيتموهم فكذبوهم ثلاث مرات))، ولو ذكرنا ما ورد عنه عليه السلام في ذلك لطال الكلام.

فإذا قال لنا قائل: ما تقولون هل الطاعات والمعاصي واجتنبهما من الله بقضائه أم من العباد؟

قلنا: إن أرادت أنه بمعنى أن خلقهما كما قال [تعالى]: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، فهذا محال ما قضاها بهذا المعنى، فأما السموات والأرضون والنجوم والجهال والدواب والآجال والأعمار والأرزاق والأمراض والجذب والخصب والفقر والغناء والصحة والسقم والحياة والموت وشواهة الصورة وصباحها وبياضها وسوادها

(١) السنة لابن أبي عاصم ج ٢ ص ٤٦١.

(٢) الشافعي ج ٢.

(٣) حقائق المعرفة ص ٢١٣.

واستقامتها واعوجاجها فكل ذلك بقضاء الله وقدره وهو معنى الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقضاء، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب))^(١).

وإن أردت أن أعمال العباد بقضاء الله وقدره بمعنى أنه أمر بها فهذا إنما يصح في الطاعات منها فإنه قضاها بمعنى أنه أوجبها علينا سواء قبلناها أو لا وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي أوجب ذلك وحتمه، فأما المعاصي والفواحش فلا يصح أن يكون أمر بها وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وإن أردت [أن] أعمال العباد بقضاء الله وقدره بمعنى أنه يكون قد علمها قبل حدوثها وأعلم بها ملائكته كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]، وكما قال في الثاني: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَقَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر: ٦٠]، أي أعلمنا ذلك من حالها، ولا شك أنه ما تحرك عند حركة ولا أطاع طاعة ولا عصى معصية ولا عمل عملاً لا كفوراً ولا إسلاماً إلا وقد علمه الله تعالى قبل كونه وقبل خلقه للسموات والأرض؛ لأنه عالم بكل شيء ولا يخفى عليه شيء إلا أن علمه تعالى سابق غير سائق ولو كان علمه سائقاً للعصاة إلى معصيتهم لكان ذلك أبلغ في الحجة لهم والاعتذار منهم ولما لزمهم حسنتهم ولا قبائح أعمالهم.

ولهذا قام رجل إلى عبدالله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قواماً يربون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التي حرم الله ويقولون كان ذلك في علم الله فلم نجد بداً منه.

(١) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا ص ٨٥.

فغضب بن عمر، ثم قال: سبحان الله العظيم قد كان ذلك في علمه أنهم يفعلونها ولم يحملهم علم الله على فعلها، حدثني أبي عمر بن الخطاب: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي تظلكم والأرض التي تقلكم، فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض فكذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله تعالى، وكما لا تحملنكم السماء والأرض على الذنوب فكذلك لا يحملنكم علم الله عليها))^(١)، وهذا غاية البيان من النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وهذا قولنا الذي قلناه ومذهبنا الذي اخترناه. ولما قال عبيدالله بن زياد لعلي بن الحسين عليه السلام: ألم يقتل الله علي بن الحسين!

قال: قد كان لي أخ يسمى علياً وكان أكبر مني سنّاً وإنما قتله الناس لا الله. قال ابن زياد: بل الله قتله. قال علي بن الحسين عليه السلام: فالله أراد قتل عثمان بن عفان. فسكت بن زياد.

وسئل الصادق عليه السلام: عن القدر؟ قال: ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو فعلك، وما لم تستطيع فهو فعل الله، يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة لِمَ عصيت ولم تقول لِمَ مرضت. قال ابن عباس رحمه الله: كلام القدرية كفر، وكلام الرافضة هلكة، وكلام المرجئة ضلالة.

وعن ابن عباس: القدر بحر عميق فقفوا عند أدناه لا تقولوا أن الله جبر العباد على المعاصي فتظلموه، ولا تقولوا أن الله تعالى لم يعلم ما العباد عاملون فتجهلوه.

(١) تفسير الرازي ج ٢ ص ٢٩٠.

وهذا مذهبنا بعينه، فإننا قلنا أن الله تعالى خلق القدرة للعباد على أفعالهم وجعلهم بقدرته متمكنين من أن يفعلوا وأن لا يفعلوا، ولم يقهرهم على شيء من فعلهم ولو شاء أن يقهرهم لقهرهم، وأنه ليس بعاجز عن منعهم من معصيته ولو كان جاهلاً لما يقع منهم من مخالفته وأنه أمر الكافر بما قد علم منه أنه لا يطيعه وأحسن إليه بإقداره على حد طاعته وأن قدرته وقوته التي خلقها فيه لولا ما كان فعله مع أنها ليست موجودة لفعله وإنما يحصل ذلك باختياره الذي مكنه الله منه.

والقدرية قالوا: لو قدر النبي على الربا والفواحش لفعلها؛ لأن القدرة عندهم موجبة لمقدور، وأما نحن نقول: قد [كان] قادراً على ذلك ولم يفعله تعظيماً لله تعالى من أن يعصيه فأبي الفريقتين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ ولوا أنا أردنا الاقتصار لذكرنا في هذه المسألة ما أكثر من هذا إلا أنا أردنا بالبيان بمقدار ما يكون يلزم الحجة والله الهادي.

وأما المسألة الثانية: وهي قولك وتعلمني هل المشي في الأرض بمشيئة الله تعالى وبمشيئة العبد؟

فالجواب عن ذلك: أنه قد تقدم في المسألة ما يوضح هذه المسألة وهو أن المشي إن كان في معصية الله تعالى فإن الله عز وجل لا يريد ولا يرضاه ولا يحب ولا يشاء؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، فلا يجوز أن يقال أن الله تعالى قد قضى هذا المشي؛ لأنه يوهم أنه خلقه أمر به وقد بينا أنه تعالى ما خلق أعمال العباد ولا أمر بالبغي والفساد، ولكنه قد علم ما يفعله الجهال وما يكون منهم من العمى والضلال، وإن [كان] مشيه في طاعة الله عز وجل فإن الله لا بد أن يكون قد أراد ذلك وأرضاه وأحبه وشاء؛ لأنه قد أمر به وحث عليه وأغرى ودعا إليه -

وإن كان لم يحدث تلك الطاعة ولا خلقها - و^(١) أقدّر العبد عليها وأمر بها، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وأرضاه فإنه كان يتبرأ من القدرية ويتبع في أيامه أئمة الزيدية، وكان تابعاً للإمام الفاضل يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولما أظهر الشافعي رحمه الله ما يعتقد من الولاء والمحبة لآل محمد المصطفى قال بعض أعدائه من هؤلاء القدرية البغضاء: أنه رافضي؛ لأن القدرية إنما يعدون الرافضة المحبين لآل محمد عليهم السلام، والرفض^(٢) عندهم إنما هو الولاء والحب لأولاد فاطمة صلوات الله عليها وعلى أبيها النبي المختار وعلى أولادها صلوات الله عليهم البررة الأتقياء، وكان محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يتشفع ويأتم بأئمة الهدى من الزيدية ويرى أنهم أولى بالاتباع من سائر البرية.

فقال الشافعي رحمه الله عند ذلك شعراً:

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بنازل حيفها والناهض
سحراً منى قاصد حجيج من منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
قف ثم ناد بأني لمحمد ووصيه وابنيه لست بباعض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي^(٣)

(١) مكتوب: إذا.

(٢) قال ابن حجر العسقلاني: «والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيوعي» فتح الباري ج ١ ص ٤٥٩.

(٣) قال الصفدي: «وأخبرني من لفظه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى قال: استعرت من نور الدين المذكور مجلداً، فوجدت فيه في مكان الأبيات

فأين المنتسبين إلى الشافعي رحمه الله تعالى من هذا القول؟ وكيف يقولون: نحن شافعية وهم ييغضون آل محمد أهل البيت عليهم السلام، ويسبون أئمة الهدى وييغضون أتباعهم من أهل المودة والولاء. والقوم ليسوا شافعية وإنما مسودة عباسية وأموية جبرية؛ لأن مذهب القوم إنما هو الجبر والبغضة لأولاد فاطمة البتول قد امتزج ذلك بلحومهم ودمائهم حتى أفضى ذلك إلى أنهم يعادون من يحبهم وييغضون من يقاربهم، وأول من شرع ذلك كله إنما هم بنو أمية قالوا بالجبر وقتلوا العترة الطاهرة عليهم السلام، وأول من أحدث مذهب الجبرية وأضاف أفعال العباد إلى باري البرية معاوية بن أبي سفيان وتبعه بنو أمية على ذلك، قال معاوية - لعنه الله وأخزاه وجعل النار مأواه - على المنبر: «أنا خازن من خزان الله، أعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله»، فغضب من مقالته هذه أخيار الأمة وأعيان الصحابة رضي الله عنهم فقال له تلك الساعة أبو ذر رحمه الله: كذبت يا معاوية إنك لتعطي من منعه الله، وتمنع من أعطاه الله. فقال عبادة بن الصامت رحمه الله: صدق أبو ذر. فقال أبو ذر رحمه الله: صدق عبادة^(١). وصدق بعضهم بعضاً في تكذيب عدو الله معاوية.

وهو الذي آثار الفتنة وحارب خير الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام جعلها سنة في أهل بيته حتى خرج - يزيد لعنه الله - فقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه

الضادية التي للشافعي رضي الله عنه وفيها تحريجة إلى الحاشية تتصل ببيتين، الأول حفظته، وهو:

قف ثم ناد بأني لمحمد ... ووصية وابنيه لست بياغض

ثم تأملت الخط، فإذا هو خط نور الدين، انتهى.

قلت: وقد اشتهر هذا البيت، وأثبتته الفضلاء والحفاظ والناس من شعر الشافعي إلخ، أعيان

العصر وأعوان النصر ج ٣ ص ٣٢٤.

(١) حقائق المعرفة ص ٢١٦.

السلام ولم يكُ على وجه الأرض ذلك اليوم أفضل منه، ثم تتابعوا في هذا المذهب الخبيث وهو القول بالجبر والقضاء والقدر والبغضة والعداوة لآل محمد عليه السلام فسهلوا هذا الطريق، وتبعهم على ذلك بنو العباس فسفكوا دماء العترة وخالفوهم في الدين والملة وصرخوا الناس عن محبة أهل بيت النبوة وأعطوا على ذلك الأموال الجسيمة والناس أكثرهم طلاب الدنيا، وتحيلوا على الناس إزاحتهم عن مذهب العترة عليهم السلام لأن لا يبقوا على محبتهم فتبعهم على ذلك سفاف الناس وجهالهم وناقضوا العقول منهم وهم الأكثر، حتى أحدثوا مذهب الرافضة للناس والقول بإمام معصوم غائب لا يوجد؛ لأن لا يتبعوا الموجود من أهل البيت الطاهرين عليهم صلوات رب العالمين، حتى قال المأمون بن هارون الملقب بالرشيد: رأيت في صرف الناس عن المحبة لأولاد فاطمة خير من رأي آبائي في قتلهم، وهو الذي أحدث مذهب الرافضة.

[إحداث المخالفة بين أهل البيت والفقهاء]:

وأنسوا الناس الرواية عن أئمة الهدى وخوفهم على ذلك أعظم تخويف حتى أقبل الناس على الرواية عن الفقهاء وأوهموهم أن أولئك الفقهاء مخالفون لآل بيت محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله النجباء، فتبع الأكثر الرواية عن الشافعي، وأبي حنيفة، والثوري، ومالك، وأجناسهم؛ تقريباً إلى الدولتين كل في زمنه الأموية والعباسية فصار كثير من أتباع العباسية والأموية لا يعبرون إلى الفاطمية محاباة للدولتين وإنما يقولون: نحن شافعية أو حنفية أو مالكية؛ لأنهم لو رفضوا النسبة إلى الفقهاء المشهورين مع رفضهم لأهل البيت الطاهرين عليهم صلوات رب العالمين وقالوا: نحن عباسية أو أموية لقال الخلق فأنتم إنما أنتم دنيوية لا آخروية فأرادوا التلبس بالانتساب إلى الشافعي وأبي حنيفة ومالك وتبع هؤلاء الأسلاف الأَخلاف على غير معرفة منهم بغير سريرتهم مع محبة الدنيا ومحاباة أهلها وتزيين السلطان وتلبس الأهواء وغرورها.

وإلا فأين هؤلاء الفقهاء من مذهب الجبرية وأهل هذه الأهواء، هذا الفقيه محمد بن إدريس الشافعي يصرح بخلاف مذهبهم ويغير في وجه اعتقادهم ويقول بأن الرافضي إن كان هو المحب للعترة فهو رافضي بلا مزية لأنه محب لهم وتابع لأئمتهم ومعتقد لاعتقادهم وقد كان منهم في التشيع والنصرة لإمام الهدى من أهل بيت محمد المصطفى في زمنه ما لا يخفاء به وهو القائل رحمه الله شعراً:

إذا في مجلس ذكروا علياً وسبويه وفاطمة الزكيّة
فقطب وجهه من رام منهم فأيقن أنه ابن سلققيّه
ذروا ما لا يصح فإن هذا سقيم من حديث الرافضيه
برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حبّ الفاطميه (١)

فالشافعي رحمه الله برئ إلى الله تعالى من القائلين بأن الرفض حب الفاطمية وليس الذي يقول ذلك إلا هؤلاء القدرية الذين يتسمون بأنهم شافعية، فكيف يكونون على مذهبه وهو بريء من مذهبهم ويشهد بكذبهم أم كيف يكونون شافعية وهم يذهبون بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد وفي الولاء والبراء إلى غير مذهبه ويتدينون في ذلك بغير دينه، فإن المشهور عنه أن مذهبه مذهب الأئمة في الأصول وأنه ما خالفهم في شيء من تلك الفصول وإنما تكلم في مسائل الاجتهاد باجتهاده كما يتكلم كل واحد من أئمة الهدى وعلماء شيعتهم في ذلك باجتهاده جرياً على طريقة العلماء الراشدين وتسناً بما كان من السلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين، وما هذه حاله فهو واقع في الأئمة الهادين ولا يقال بأنهم مختلفون في المذهب لما اتفقوا في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوات وأصول الشرائع والوعد والوعيد والولاء لمن يوالونه والبراء ممن يعادونه.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي.

والشافعي رضي الله عنه في ولاء آل محمد عليهم السلام قال:
كتبت كتاباً والفؤاد كئيب وفي القلب من تذكاركن لهيب
ومما نفى نومي وشيب لمتي تصاريف أيام لنا وخطوب
فمن مخبري عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيلاً بلا جرم كأن بثيابه صبيغ بماء الأرجوان خضيب
تزلزلت الدنيا لآل محمد وكادت نجوم في السماء تغيب
يصلّي علي المهدي من آل هاشم ويغزي بنوه إن ذا لعجب
وهم شفعاي يوم حشري وموقفي وحبهم للشافعي ذنوبي^(١)

وهذا من أجلى برهان وأكشف بيان في أن الشافعي من شيعة آل محمد عليه
وعليهم السلام، وهل المتشيع لهم إلا من يحبهم وينكر على خصمهم ويتبرأ من عدوهم
ويرجو الشفاعة منهم يوم حشرهم، وهل يقول بهذه المقالة من يخالفهم في القول
والاعتقاد أو يباينهم في الإصدار والإيراد، ولو ملنا إلى أقوال الشافعي رضي الله عنه
واعتقاداته لأهل البيت الطاهرين عليهم صلوات رب العالمين لما اتسعت له هذه وفيما
ذكرنا [فأيضاحه]^(٢) إضاءة النهار ولكن لا يراه إلا أولي الأبصار.
نعم وكذلك الحنفية لا يكونون متبعين لأبي حنيفة إلا بأن يوالوا وليه ويعادوا عدوه
ومن المعلوم الظاهر مولاته للعترة الطاهرة ومناصرته للزيدية حتى روى الصباح بن سايه
قال: وكان أبو حنيفة زيدياً.

(١) وردت باختلاف قليل في كتاب مقتل الحسين للخوارزمي وكتاب ينابيع المودة
للقدوري.

(٢) لعلها كذا.

وروى فضل بن الزبير قال: كتب رسول زيد بن علي عليه السلام إلى أبي حنيفة يطلب نصرته .. في حديث طويل. قال أبو حنيفة للرسول: اقرأه مني السلام وقل له أما الخروج فلست أقوى عليه لمرض - كان به - ولكن عندي معونة على جهاد عدوك فأستعن بما أنت وأصحابك في الكراع والسلاح.

وبعث إلى زيد بتلك المعونة فكانت ثلاثين ألف دينار(١).

فأين هذا من بغضة هؤلاء القدرية - الذين يزعمون أنهم حنفية - لأهل البيت عليهم السلام ونصرتهم لأعدائهم، أليس هذا يدل بذلك على أنه يقول بإمامة زيد فوجب نصرته، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي شج في وجهه في محبة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وهل يدخل خلد عاقل أنه يعتقد إمامة زيد بن علي عليه السلام وهو يخالفه في العدل والتوحيد وفيما يلزم معرفته من الوعد والوعيد! هذا هو الظن البعيد، وما يروى عنه ما يخالف ذلك إلا يحيل التصديق به والاعتقاد؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله يقول: ((لا تظن بكلمة خرجت من أحد شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً)) (٢)، وقد قال [تعالى]: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وليس ينبغي فيمن يظهر منه مثل ما ظهر من أبي حنيفة أن يظن به بعد ذلك ظن السوء، هذا وقد روي عن النبي عليه السلام ما لا يصلح معه سوء الظن، وفيما ذكرنا ما يدل على أن

(١) قال محيي الدين الحنفي: «وعن عبد الله بن مالك بن سليمان قال أرسل زيد إليه يدعوه إلى البيعة، فقال: لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه إمام حق ولكني أعينه بمالي، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وقال للرسول أبسط عذري عنده وفي رواية اعتذر إليه بمرض يعتريه ولا منع من الجمع، وسئل عن خروجه فقال ضاهى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقليل له لم تخلفت قال حبسني عنه ودائع الناس عرضتها على ابن أبي ليلى فلم يقبل فخفت أن أموت مجهلاً وكان كلما ذكر خروجه بكى» الجواهر المضنية في طبقات الحنفية ج ١ ص ٤٩٦.

(٢) يروى عن عمر بن الخطاب مداراة الناس لابن أبي الدنيا ص ٥٠.

هؤلاء الفقهاء لا يميلون إلى شيء مما عليه هؤلاء الجبرية القدرية، وأن انتساجهم إليهم مكر وخديعة ودغل في الشريعة^(١).

وعن حماد بن زيد قال كان الثوري: زدياً. وعن أبي معاوية قال: وقد ذكر عنده سفيان الثوري: نحن أعرف منكم به فإنه كان سفيان زدياً من الشيعة^(٢)، وهذا يدل على أن هؤلاء القوم من الجبرية من الذين ينتسبون إلى الشافعية والحنفية لا سلف لهم؛ لأنهم إذا ثبت لما تقدم أنهم لا نسبة لهم إلى هؤلاء الفقهاء من الشافعي وأبي حنيفة والثوري ومالك وأنهم لا يتبعوهم في مذاهبهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هم ابتدعوا هذه البدع وأحدثوها وزين لهم مبدعها أعمالهم فجروا عليها، وأنه إنما أن ندمهم [للإزاحة]^(٣) عن محبة أهل البيت عليهم السلام والميل عن مذهبهم والتكثير سواد مبغضهم من الدولة الأموية والعباسية لا غير، وأنه بنى على غير أساس وثمر من غير غراس وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال: ((لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار))^(٤)، وروينا أنه قال عليه السلام: ((حرم الله الجنة على من ظلم أهل بيتي وقتلهم ومن ستمهم والمعين عليهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم))^(٥)، وأنت إذا

(١) قال ابن النديم: «الزيدية الذين قالوا بإمامة زيد بن علي عليه السلام ثم قالوا بعده بالإمامة في ولد فاطمة كائنا من كان بعد أن يكون عنده شروط الإمامة وأكثر المحدثين على هذا المذهب مثل سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وصالح بن حي، وولده، وغيرهم»
الفهرست ص ٢٢١.

(٢) ذكره ابن قتيبة في الشيعة. المعارف ص ٤٦٧.

(٣) ليست واضحة لعلها كذا.

(٤) المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٢.

(٥) شرف المصطفى ج ٥ ص ٣٣٦.

نظرت في هؤلاء الجبرية وتفكرت في زهادهم وأهل الورع منهم بزعمهم وحديثهم لا يميلون بالحببة إلا إلى بني العباس وبني أمية نحو معاوية وأشباهه وهؤلاء هم أعداء آل محمد عليه السلام وقتلتهم وأهل الشنأة والبغضة لهم فبذلك على أنهم منهم لأن من محبي العترة الشافعي وأبي حنيفة ومالك والثوري وحاشهم، وأدنى أحوالهم في ذلك أن يقولوا نحن نحبهم ونحب أولاد فاطمة ونحب علي ومعاوية والمنصور والنفس الزكية وهذا هو الحيف المبين والورع السقيم؛ لأنه لا يصح أن تجتمع محبتهم ومحبة عدوهم ومولاة شانهم هذا كذب صريح وقول غير صحيح ويشهد لنا بذلك القرآن المبين الوارد عن الحيين قال الله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

وقبض أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعه من حرب البصرة على يد عمار وقال: ((نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله، وحزب الفئة الباغية حزب الشيطان، ومن ساوى بيننا وبين عدونا فليس منا)) (١).

فهذا طرق من التفهيم أحببنا أن نعرفك إياه يا أبا الحجاج نهدى إليك من الحجاج رغبة فيما ورد عن النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله الأطهار إذ قال: ((ما أهدى المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة يريده الله بها هدى ويرده عن ردى وأنها لتعدل إحياء نفس ومن أحيها فكأنما أحيها جميعاً)) (٢).

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٦٧٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٢٦١.

[رحلة المؤلف إلى مكة:]

واعلم - أيدك الله - إني ممن قد جاور الكعبة وأقام في مكة مدة ونظر مجالس الشافعية زمان الفقيه البرهان^(١)، ومجالس المالكية مدة من الزمان، وقرأ وسمع على كثير منهم، وعرف أقوالهم واعتقادهم، وجرى بيني وبينهم مراجعات، وقرأت على بعضهم في تأليف أبي عبدالله الجويني^(٢) الكتاب المعروف بـ«الإرشاد في الاعتقاد»، وعرفوا مقالتي [و] أقر جماعة منهم أن هؤلاء الذين نرويه عن أهل البيت عليهم السلام هو الحق وأن ما عنه معدل، والعامل ينبغي له أن ينظر بعين البصيرة ويعمل لنفسه في هذه الأيام القصيرة، ويرفض الأنفة والحمية، وي طرح الكبر والعصية، ويعرف أنه وما معه في الدنيا إلى زوال وفناء، فيوفر العمل لآخرته، والاقبال إلى الله تعالى بطاعته، ولا يحايي أحداً في نجاته وليأخذ لوفاته من حياته، فهذا الذي ينبغي للعامل أن يطبع عليه نفسه وأن يمرن عليه إلفه وحسه، فهذا في المسألة الثانية.

وأما المسألة الثالثة: وهي قولك وتعلمني بطلاق البدعة وطلاق السنة.

فالجواب عن ذلك وبالله التوفيق: أن نقول أن هذه المسألة من فروع الفقه لا من أصول الدين فلا يضر فيها الاختلاف بين المختلفين وقد اختلف فيها اجتهادات المجتهدين وقد قال النبي عليه السلام: ((اختلاف أمتي رحمة))^(٣) وهو يعني في الفروع،

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدي.

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفي بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ، له مصنفات كثيرة، منها " غياث الأمم والتهياث الظلم - خ " و " العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية - ط " و " البرهان - خ " في أصول الفقه، و " نهاية المطلب في دراية المذهب. الأعلام ج٤ ص ١٦٠.

(٣) إحياء علوم الدين ج١ ص ٢٧.

وقال: ((كل مجتهد مصيب))^(١) يعني بذلك في غير ما الحق فيه واحد، ولهذا اختلفت أقوال الصحابة رضي الله عنهم في الفتاوى الشرعية كمسألة الجدة، ومسألة الحرام، ومسألة المشتركة، وغير ذلك من المسائل الفقهية ولم يكفر بعضهم بعضاً في ذلك ولا بفسقه ودينهم واحد وملتهم واحدة وشريعتهم واحدة؛ لما كانوا متفقين في أصول العدل والتوحيد وما يدينون به في الثواب والوعود والوعيد، وهذه المسألة التي ذكرت هذا القبيل لا يوجب الاختلاف فيها تضاداً ولا تبايناً وقد اختلف فيها اجتهاد مذهب الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه إلى أن الطلاق مباح ليس فيه سنة ولا بدعة وهو قول أئمتنا عليهم السلام بإجماع منهم، وأما طلاق البدعة فإنه لا يكون في الصغيرة التي لم تبلغ ولا في الأيسة من الحيض ولا في الحامل وإن كان يستحب أن يكف عن جماع هؤلاء شهراً إذا أراد الطلاق من غير وجوب عندنا وعند الشافعي وأبي حنيفة وعند زُفر من الحنفية لا بد أن يكف شهراً.

وإنما يكون طلاق البدعة: بأن يطلقها وهي حائض أو يطلقها في طهر قد كان طلقها في الحيض قبله أو يطلقها في طهر واحد ثلاث مرات بكلمة واحدة أو كلمات أو يطلقها في طهر قد جامعها فيه، فهذا طلاق البدعة.

وأما طلاق السنة: فهو أن يطلقها في طهر من حيض لم يطلقها فيه ولا جامعها في ذلك الطهر ويطلقها فيه إلا مرة واحدة، فهذا طلاق السنة.

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿فَطَلَّوْهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وآله التي يطلقن بها في خبر ابن عمر وذلك أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال عليه السلام: ((مره فليراجعها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم يطلقها إن شاء من

(١) لعل المراد المعنى المستخرج من مجموعة الأحاديث والتي منها بعث معاذاً إلى اليمن وقوله: "اجتهد برأبي ولا ألو".

غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها، فتلك العدة التي أمر الله [تعالى] بها أن تطلق النساء لها))^(١)، هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وحكمه وفيه ما ذهبنا إليه نحن وسائر الفقهاء، والله الهادي.

وأما المسألة الرابعة: وهي قولك وتعلمني بالطلاق الذي يرجع إليه والطلاق الذي لا يرجع إليه.

فالجواب عن ذلك وبالله التوفيق: أن الطلاق مرتان رجعي وبائن، فأما الطلاق البائن الذي لا رجعة فيه فهو ثلاثة الطلاق قبل الدخول بالمرأة فإنه لا رجعة فيه إلا بعقد نكاح جديد بولي وشهود عدول.

وثانيها: الطلاق الثالث فإنه لا رجعة فيه ولا نكاح بعده حتى تنكح زوجاً غيره نكاحاً صحيحاً كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وثالثها: الطلاق على شرط عوض للمرأة الطالبة لذلك فإنه لا رجعة فيه إلا بتجديد نكاح بولي وشاهدين عدلين.

وأما الطلاق الرجعي: فهو أن يطلقها بعد الدخول بها على غير عوض ولا هي التطليقة الثالثة وهذا كله لا خلاف فيه من بين العلماء.

وإنما اختلفوا في مسائل منها قال الشافعي رضي الله عنه الخلع فسخ وفي قول آخر أنه طلاق مثل قولنا، وروينا أن سعيد بن المسيب قال أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل الخلع طلاق، وحكي عن أبي ثور أنه الرجعة في الخلع، وروي عن سعيد ابن المسيب والزهري أنه بالخيار بين أن يرد العوض وبين أن لا يرد فلا تجوز الرجعة، وعند أهل البيت عليهم السلام لا رجعة في الخلع، وعند أبي حنيفة الكنايات كلها طلاق بائن إلا قوله

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج ٢ ص ١٠٧٦.

اعتدي أو استبرئي رحمك أو أنت واحدة فهذه الثلاث رجعية عنده، وعند الشافعي أنه لا بائن فيها إلا ما ينوي به الثلاث فقط، لو فصلنا أقوال الفقهاء لطال الشرح وفيما ذكرنا كفاية لما يحتاج إليه الجواب، والله الهادي.

وقد رجونا أن تكون هذه المكاتبة بيننا وبينك يا أبا الحجاج أول مواصلة وأن تكون داعية إلى المؤاخاة في الله تعالى والمقاربة والمحابة ففي حديث النبي صلى الله عليه وآله: ((المتحابون في الله يوم القيامة على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله))^(١)، فإن رأيت وفقك الله تعالى أن تصل إلينا هذه الأيام إلى جهة راحة بني شريف^(٢) ونقف معنأ اليوم واليومين أو ما يستور عليك فعلت؛ فذلك من أعمال الصالحين وطرائق المؤمنين ولك بذلك إن شاء الله تعالى الحظ العظيم ولعلنا نتراجع في المصالح الدينية كلها والسلام.

وكتب في أول شهر رجب المعظم من شهور سنة ثمان وأربعين وستمائة في الدار بالمراب، والإمام المهدي عليه السلام بصنعاء قد ملكها وأنظر الأسد إلى حصن براش^(٣) واجتمعت عساكر الإمام هناك منهم الأمير الكبير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور بالله عليه السلام والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله.

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ٢٠ ص ٤٧.

(٢) بلدة يمنية تقع في عسير وتسمى الحرجة.

(٣) يقع في مدينة الحويت.

الفهرس

١	المقدمة
٣	التعريف بالمؤلف
٦	نص الكتاب
٧	مقدمة المؤلف
٩	فضل الشيعة وبراءة الزيدية مما ينسب إليها
١٠	الرافضة وعلاماتهم
١١	عن تكليف الفقيه بالاحتساب
١٢	قيمة العقل
١٣	خطر البدع وحقيقتها
١٤	وجوب النظر
١٥	جواب المسائل
١٥	المسألة الأولى: هل القضاء وقدره ماضٍ في كل شيء إلا الفواحش
٢٢	المسألة الثانية: هل المشي في الأرض بمشيئة الله تعالى وبمشيئة العبد
٢٥	إحداث المخالفة بين أهل البيت والفقهاء
٣١	رحلة المؤلف إلى مكة
٣١	المسألة الثالثة: عن طلاق البدعة والسنة
٣٣	المسألة الرابعة: عن الطلاق الذي يرجع إليه الذي لا يرجع إليه
٣٥	الفهرس